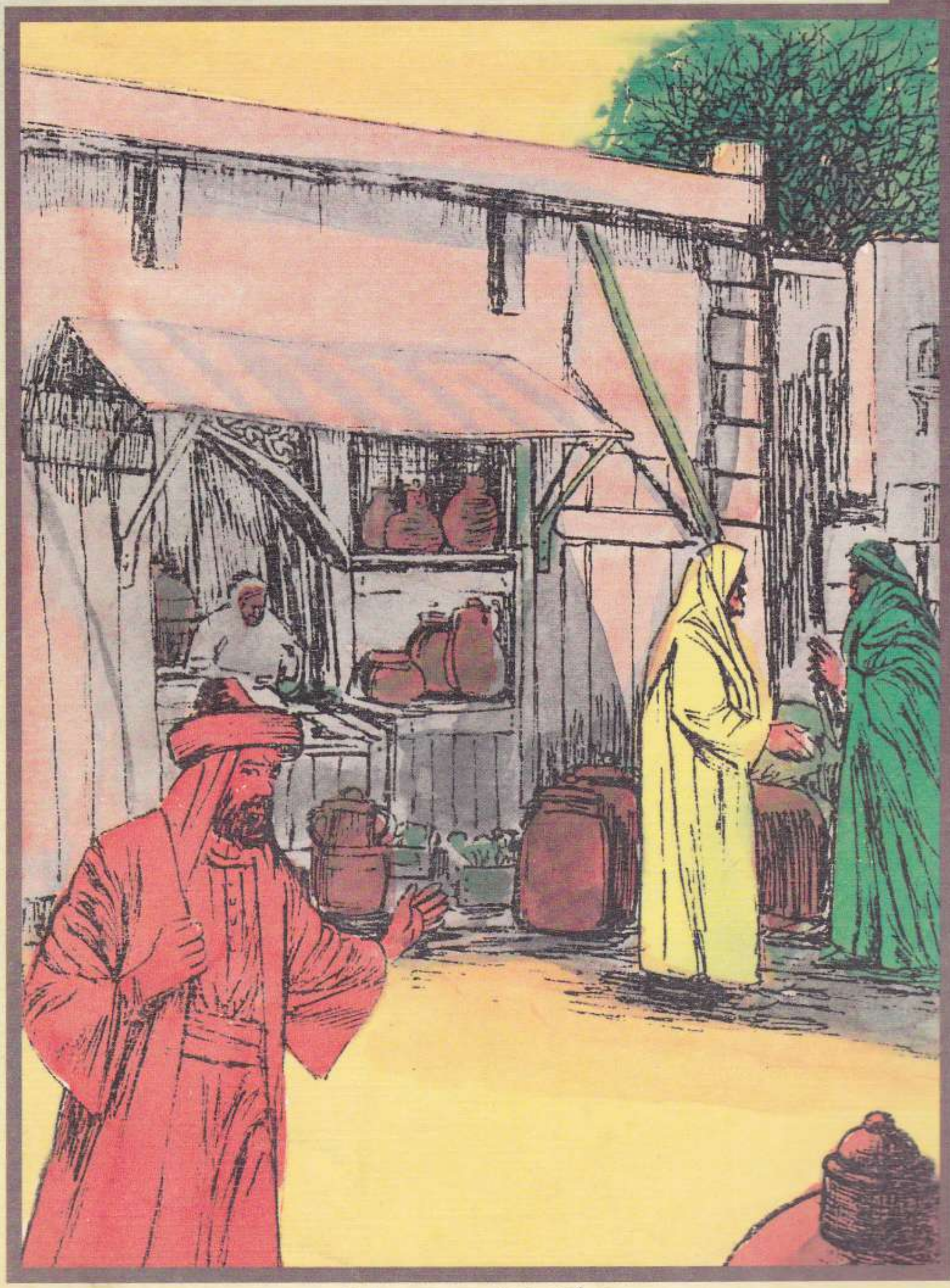
سلسلة
حكايات
السمر
٤

زكريا كايا

التاجر الجاسوس



دار الجيل
بيروت - القاهرة

سلسلة
حكايات
السمر
(٤)

التاجر الجاسوس

تأليف ورسوم

زكريا كايا

دار الجيل
بيروت - القاهرة

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

التَاجِرُ الجَاسُوس

في قَديم الزمانِ وسَالفِ العَصرِ والأوانِ، حَدَثَ أنِ اضطَرَبَ حَبلُ الأمنِ في البلادِ العَرَبِيَّة، وأطلَّتِ الفتَنُ والقلاقِلُ برُؤُوسِها تعبَثُ في البلاد وتُفسِدُ العباد. وكانَ سَبَبَ تلكَ الحالةِ المُقْلِقَةِ خُرُوجُ خَمَارَوَيْه الذي اقتطع أبوهُ أحمدُ ابن طُولون مِصرَ من بلاد الخلافة العَبَّاسِيَّةِ وجَعَلَها مُلْكاً له وأَورَثَها ابنَه. وسَعَى خَمارَوَيْه في إلْحَاقِ بلادِ الشامِ بمُلْكِه، وقد تمَّ له بالفعلِ وَضْعُ اليدِ عَليها، مِمَّا أثارَ مخاوفَ الخَليفةِ العَبَّاسيِّ من أَطْمَاعِ هذا المَمْلُوكِ الذي كانَ جَدُّه غُلاماً في بِلاطِ الخليفةِ المَأمونِ.

وكان الخليفة المُعْتَضِدُ رجلاً ذا بَأسٍ وَمَهَابَةٍ **وَرَجَاحَةِ عقلٍ**، فتَصَدَّى بشُجَاعةٍ نَادِرةٍ لأَطمَاعِ الخَارِجينَ على الخِلافَةِ فجرَّدَ حَملَةً كبيرةً تزعَّمَها بنفسِه وَأقسَمَ بأَنَّه لن يَعُودَ إلى بَغدادَ إلاَّ مُنتصِراً على أَعدائِهِ وفي مُقَدَّمِهِم خَمارَوَيه.

وأثناءَ انشغَالِ الخَليفةِ في حَمْلَتِهِ تلكَ خَرَجَ اللُصُوصُ، وقُطّاعُ الطُرُقِ مِن أَوكارِهم ورَاحُوا يعتَرِضُونَ الناسَ والقَوَافلَ حتَّى صارَتِ الأَسفارُ غيرَ آمِنةٍ.

وأمَّا في المُدُنِ الكبيرةِ فقد **هَيْمَنَ** المُحْتالونَ والمُجرِمُونَ على الأسواقِ والأحيَاءِ وراحُوا يَنْشُرُونَ الذعرَ في النُفُوسِ ويَتَسَلَّطُونَ على التُجَّارِ **ويَبتزُّونَهُم**.

وخافَ الناسُ وصَارُوا يأوُون إلى مَسَاكِنِهم ودُورِهم قبلَ غِيابِ الشَمسِ ويُوصِدُون دُونَهُمُ الأبوابَ ويُعزِّزون إقفَالها خوفاً من أَخطَارِ مُداهَمَةِ اللُصوصِ لَهُم وَاعتِدَائِهم عَليهم في غَفْلَةٍ مِنهم.

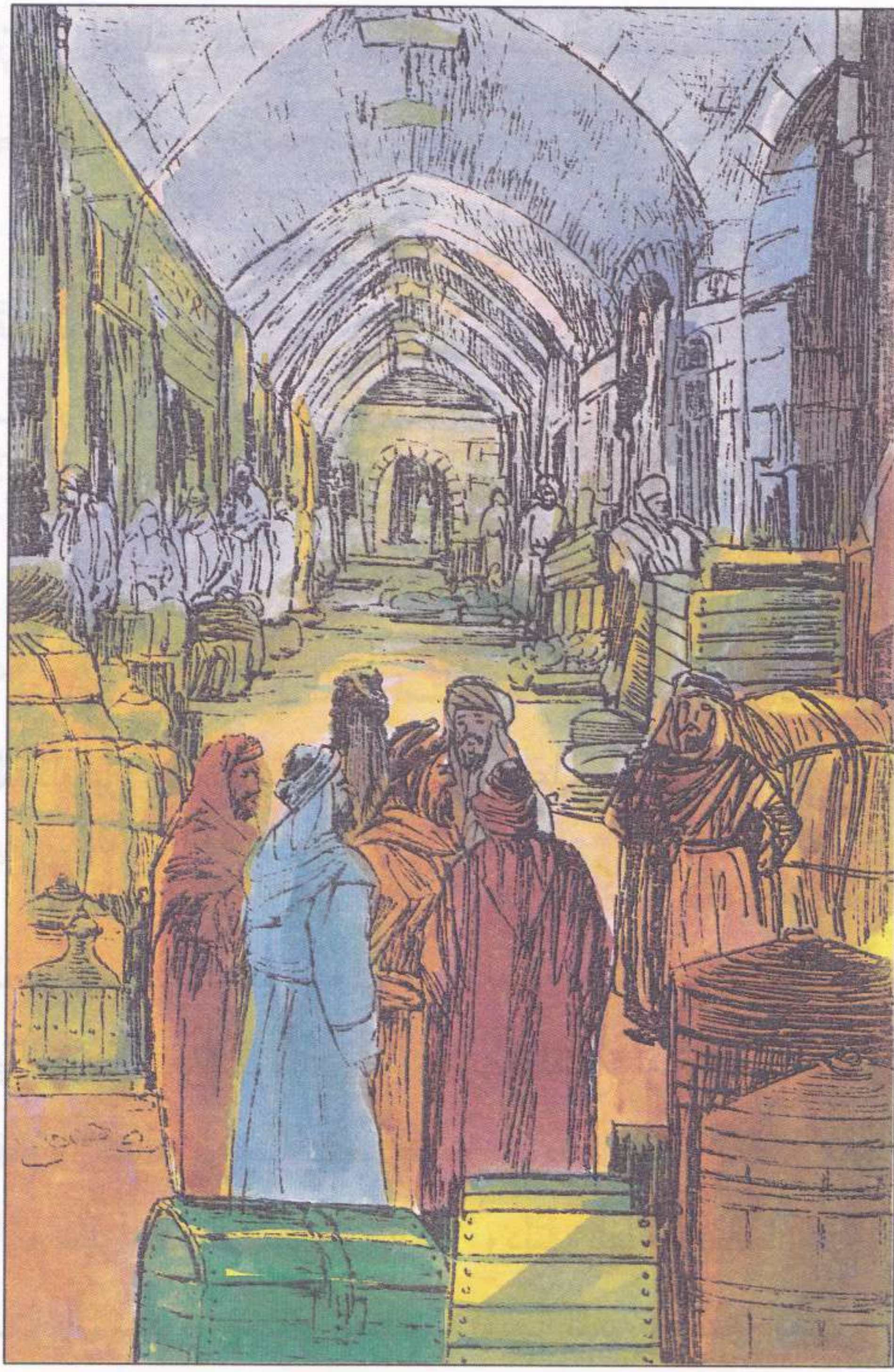
عانَى الشعبُ جَرَّاءَ تلكَ الفَوضَى مُعَاناةً قَاسِية، وخاصَّةً التجّارَ، فقَدْ صارَتْ قوافِلُهم عُرضَةً للسَطْوِ عَليها ونَهبِها وانتهاكِ حُرُمَاتِها بَل وقَتْلِ نَاسِها والفتكِ بِحُمَاتِها، وصَارَ النَاجِي برُوحِهِ مِنهُم يَصيرُ مُشَرَّداً هَائِماً عَلى وَجهِهِ في **الفَلاةِ**،

عُرْضَةً **لغَائِلَتَي** الجُوعِ والعَطَشِ، فضلاً عَنْ تَعَرُّضِه لوُحُوشِ البَرَارِي **الكَاسِرة**.

وفي المُدُن الكَبيرةِ **عَزَّتِ البَضَائعُ** والسلعُ في الأسوَاقِ وقَد نَدَرَ وُجُودُها وتَوَفُّرُها بالكمّياتِ اللازِمَة، وراحَ يَغلُو ثَمَنُها، وكانَتِ الأسعارُ تَرتَفعُ أُسبوعاً بعدَ أُسبوعٍ ويَوماً بعدَ يَوم. وصارَ الناسُ في ضَائقةٍ شَدِيدة.

وكانَ الخليفةُ المُعتضِدُ مُنهمِكاً في حَملته لا يَسَعْهُ الاهتمامُ بِغَيرِها؛ لذلك **استَفْحَلَ** الأمرُ دونَ رَادعٍ يقمعُ المُتَطاوِلينَ والغَشَّاشِينَ والخَارِجينَ على القَانُون.

إِستَفحَلَ الحَالُ في بَغدَادَ، وراحَ بادىءَ ذِي بَدْءٍ يَتَزَاحَمُ التُجَّارُ فِيمَا بَينَهم فَيُزَايِدُونَ على السلعِ والبَضَائعِ في المَزَادَاتِ التي كانَتْ تقومُ يوميّاً. ثُمَّ راحَتِ السِلَعُ تُفتَقَدُ مِنَ الأسواقِ فصَارُوا يتقاتَلُونَ فيما بينَهم طَمَعاً بالربحِ الفَاحِشِ الذي تَعِدُ به الأَيَّامُ نظَراً لفُقدَانِها مِنَ التَدَاوُل. ودبَّتِ الفَوضَى العارِمَةُ ورَاحَ الناسُ يُمسِكُون بخِنَاقِ بَعضِهم بَعضاً للفوزِ بلُقْمَةِ العيشِ.



اجتمعَ تُجَّارُ مَدينةِ بَغدادَ ذاتَ نَهارٍ في مَجلسِ الرَئيسِ «الشاهبندر» وَهُم في حَالَةٍ من الغَلَيان والثَورَةِ يَنْشُدونَ إيجادَ مَخرجٍ لأوضَاعِهم التي أخذَتْ تَسُوءُ يَوماً بعدَ يَومٍ وتُهدِّدُهُم بالإِفلاسِ.

وعندَما اكتمَلَ عَقدُهم قالَ الرئيسُ:

- أَيُّها الزُمَلاء! الحالُ باتَتْ صَعْبَةً جِدّاً، وقَد صِرْنا على شَفِيرِ الهَاوِيَة، ولم يَعُدِ الأمرُ يُطاقُ. وليسَ التَنَاحُرُ فيما بينَنا هِوَ السبيلَ الأمثلَ لِحَلِّ **مُعْضِلَتِنَا**؛ فالسِلَعُ والبَضَائِعُ صَارَتْ مَفقُودةً مِن الأسواقِ، وإذَا استَمَرَّ الحالُ على ما نحنُ عَليه فلسَوفَ يَأتي اليومُ، وهو قريب، يَثُورُ فيهِ عَلينا الجياعُ منَ العَامَّةِ فتنهبَ أسواقَنا ودورَنا إذا لم تَتَجاوَزْ ذلك إلى أَروَاحِنَا...

فهتفَ أحدُهم وقالَ:

- السُلطاتُ هي حَاميتُنا! فأينَ هِي؟ وباتَ الخطرُ يطرُقُ أبوابَنا؟.

قالَ الرئيسُ:

- بالأمسِ كنتُ في حَضرةِ الحاجبِ وهو القَيِّمُ بعدَ الخليفةِ على إدارَةِ شُؤونِ المُلْكِ، وقد قَالَ لي بصريحِ العِبَارة: «تَدَبَّرُوا أمرَكُم بأنفسِكُم وَابْذُلوا أموَالَكُم لتُوفِّرُوا أروَاحَكُم حتَّى يخرجَ الخليفةُ من مِحنَتِهِ ويَعُودَ مُنتَصِراً إلى **حَاضِرَتِهِ**».

فقال أحدُ التجَّارِ:

- وماذَا إذَا لم يَعُدِ الخليفةُ وهُزِم أمامَ الأعداءِ؟

ردَّ الرئيسُ:

- قُلْ لا سَمَحَ اللهُ، يا رجلُ، وافتَح فَمَك بالخير!

فقالَ آخرُ:

- إننا أهلُ تجارةٍ ومالٍ ولسنا أهلَ سياسةٍ وَحُكْم؛ فالرأيُ أن نأخذَ بمَا أشارَ عَلينا الحاجبُ ونبذُلَ مالَنا سَخِيّاً، فَنُعَزِّزُ حِمايةَ قوافلِ تجارَتِنا ونُغْرِقُ الأسواقَ بالسِلَعِ والبَضَائعِ قبلَ هُبُوبِ العَاصِفَة. فعندَما نُوَفِّرُ للناسِ حَاجَاتِهِم نأمَن ثَورتَهم وَغَضَبَهم.

قالَ الرئيسُ:

- لقد صَدَقْتَ يا رَجُل! ونِعْمَ الحِكمةُ نَطَقْتَ، وليسَ مِن سَبيلٍ غيرِ ذلكَ متوفِّرٍ لنا الآنَ في هذهِ الظروفِ الحَرِجَةِ.

وَاتَّفَقَ التُجَّارُ فيمَا بينَهم على تَعزِيزِ الحِرَاسَةِ ومُضَاعَفَةِ الحُرَّاسِ لتَأمِينِ شَرِّ قُطَّاعِ الطُرُقِ واللُصُوصِ فتصلُ البَضَائعُ إلى بَغدادَ سَالِمةً.

وكانَ مِن عَادةِ التُجَّارِ في تلكَ الأيَّامِ أن يَبْعَثُوا رَسَائلَ بَطَلَبَاتِهِم إلى زُمَلاَئِهِم تُجَّارِ المُدُنِ الأُخرَى. وكانت الأمانَةُ التي بَينَ التجَّارِ تُغني عَن إرسَالِ الأموَالِ، لأنَّ هؤلاءِ التجَّارَ بدَورِهم كانُوا يَطلُبُون بوسَاطةِ الرَسَائِلِ السِلَعَ والبَضَائعَ التي يَرغَبُون فيها. وكان يَتمُّ الأمرُ إمَّا بالمُقَايَضَةِ أو بِدَفْع الحِسَابِ نَقداً بَعدَ تسلُّمِ البَضَائع. وقَد كانَ يرافقُ القَافلةَ عندَ خُرُوجِهَا صَاحِبُ البَرِيدِ وهُو رَجُلٌ يَتَعَهَّدُ بإِيصَالِ الرَسَائِلِ إلى أصحَابِها والعَودَةِ بجَوَابَاتِهم. وكثيراً مَا كانَ صاحبُ البريدِ يسبقُ القافلةَ

أثناءَ العَودَةِ لأنَّه كانَ يسلُكُ الطَريقَ المَائِيّةَ، وهيَ الطَرِيقُ الأقصَرُ، فيصلُ قَبلَ وُصُولِ القافلةِ بأيَّامٍ عَديدة.

خَرَجَتِ القَافِلةُ مِن «بَغدادَ» قَاصِدَةً «الرقَّة» وقَد عُزِّزَتْ بِحِراسةٍ قَوِيَّةٍ وشَدِيدةٍ، ممَّا أَوقَعَ الذُّعرَ في نُفُوسِ قُطَّاعِ الطُرُقِ واللُصُوص. وكانَتِ المسافَةُ بين بَغدادَ والرقَّةِ تَتَطَلَّبُ شَهراً أو يَزيدُ لتُكمِلَ رِحلتَها ويَتَطَلَّبُ مثلُها أثناءَ العَودَة.

وأمَّا صاحبُ البريدِ فإنَّه بعدَ تَسليمِهِ الرَسَائلَ إلى أصحَابِها وتَسَلُّمِهِ رُدُودَهُم عَليها، فكانَ يَعمدُ إلى «الطَوف» في طَريقِ العَودَةِ، وهو شبهُ مَركبٍ نَهرِيٍّ يتكوَّنُ مِنَ العَديدِ من الجُذُوعِ قَد شُدَّتْ بإحكَامٍ إلى بَعضِها ويتوَلَّى دَفْعَها **نُوتِيُّونَ** يَحمِلُونَ عُصِيًّا طَويلةً تُساعِدُهُم على القيادَةِ في مَجْرَى النهرِ، ويَتَجَنَّبُونَ بِوِسَاطَتِها **الارتطامَ** بالصُخُورِ الجَانِبيَّةِ أو الانغِرازَ في الوُحُولِ التي تَكثرُ في الأمَاكنِ الطَفيفةِ التي يقلُّ عُمقُ الماءِ فيها. وكانَ يرافِقُ الطوفَ هذا دَائماً حَرَسٌ أشِدَّاءُ لحِمَايَةِ المُسَافِرِينَ عَبْرَ النَهرِ.



كان التاجرُ «فالح» قَدِ اقْتَصَرَتْ تِجَارتَهُ على المَوادِّ الغِذَائيَّةِ الضَّرُورِيَّةِ كالزُّيُوتِ والزَيتُونِ والسَمْنِ والجُبْنِ ومَا إليها.

وكان الضَغْطُ والإلحَاحُ في طَلَبِ المَوَادِّ الغِذَائِيَّةِ مِن قِبَلِ الزَبَائنِ قد **أَرْهَقَهُ** إرهَاقاً شَدِيداً وكادَ يُلقيهِ طَريحَ الفِرَاشِ فَنَصَحَهُ بعضُ أصدِقَائِهِ **بالإخلادِ** إلى الراحة.

جلسَ التاجرُ «فالح» إلى مُعَاوِنيه وقالَ لهم:

- لقد ضاقَ صَدري ضِيقاً شَدِيداً مِن ثِقْلِ هَذِهِ الأيَّامِ الصَعْبَةِ، وسَوفَ أخرُجُ إلى بُستَاني الذي على ضِفَافِ نَهرِ الفُرَاتِ ولسَوفَ أَقضِي أُسبُوعاً كامِلاً طَلَباً للرَاحَة، ولا أُريدُ أن يَجيئَني أَحَدٌ منكُم أو مِن غِلمَاني بخبرٍ يُشغِلُ بَالي وَقَلبي، وَلو ذهبَ مَالي كلُّه، وألاّ تُكاتِبُوني أبَداً في أمرِ التِجَارَةِ والعَمَل. فتدبَّروا أمورَكم بأَنفُسِكُم.

أَذعنَ المُعَاوِنُونَ والغلمانُ لأَوامرِ التَاجِر. ومَضَى التاجرُ

من سَاعَتِه إلى الدارِ وَأَعدَّ العُدَّةَ للخُرُوجِ إلى البُستانِ، فحَمَلَ الكثيرَ منَ الطعامِ والشَرَابِ والفَاكِهَة. وإمعَاناً في طَلَب الأُنسِ صَحِبَ في رِحلتِه مَعَهُ بعضَ الجَوَارِي والغلمانِ مِن أهلِ الطَرَبِ والمتعةِ. وأمَرَ بإعدَادِ جَوَادِه، كمَا أرسَلَ بعضَ الخَدَمِ لِيُعِدُّوا له المكَانَ قبلَ قُدُومِهِ إليه.

وأَمضَى التاجرُ نَهارَهُ نَائِماً حتَّى العصرِ مِن شدّةِ تَعَبه، وعِندَما استيقَظَ أمَرَ خَدَمَه بأن يَهتَمُّوا بأمرِ السَهْرَةِ وشَدَّدَ عَليهم قَائِلاً:

- أُريدُها عَامِرةً مثلَ مَآدبِ الأُمَرَاءِ والمُلُوكِ، كَمَا أُريدُ أن تُبدِعَ الجوَاري في الرَقصِ والغِنَاءِ وَإدخَالِ السُرُورِ إلى نَفسِي وأنا أَعِدُهُنَّ بِمُكَافَأَةٍ سَخِيَّة..

وخرجَ التاجرُ يَجُولُ في البساتينِ ويَمشي على ضِفافِ النهرِ لِيُرَوِّحَ عن نَفسِه ويُدخِلَ البَهجَةَ إلى نَفسِه. وفيمَا هو يَتَأَمَّلُ مياهَ النَهرِ وهي تجرِي في سَرِيرِها، وَقَعَ نظرُه على



«طَوفٍ» يَسْرِي فوقَ الماءِ، فَثبَّتَ نظرَه عَليه حتَّى صَارَ في المرفأ وَتَوقَّفَ ونزل مِن على مَتنِه إلى البرّ أُناسٌ وأَخَذُوا يتوزَّعون كلٌّ في اتِّجاهٍ. وبينَمَا كانَ التاجرُ مُستغرِقاً في تَأمُّلِهِ أَيقَظَتْهُ تَحِيَّةٌ أَلْقَاهَا إليه رَجُلٌ يركَبُ حِماراً، فردّ التَحَّيةَ بأحسنَ منها. وَدَفَعَهُ فُضُولُه لأن يَقِفَ على حَقيقةِ الطوفِ فأوقَفَ الرجُلَ وسألهُ قائلاً:

– من أينَ وَرَدَ هذا الطوفُ؟

رَدَّ الرجُلُ وقال:

– مِن الرقَّةِ؟

فَتَحمَّسَ التاجرُ وازدَادَ فُضُولُه فَأَردَفَ قَائِلاً:

– وماذا كنتَ تفعلُ أنتَ في الرِقَّةِ وكيفَ حَالُ أهلِها؟

قالَ الرجلُ:

– أهلُ الرقَّةِ بألفِ خَيْرٍ وقَد قَضَى الخليفةُ المعتضدُ على أهلِ الشَغَبِ والفِتَنِ فيها. ودليلي البريدُ الذي أحمِلُهُ إلى تُجَّارِ بَغدادَ، وأنا صَاحِبُ البَريدِ المعتمَد.

تفرَّسَ التَاجرُ في وَجْهِ الرجُلِ وهَتَفَ قَائِلاً:

- عرفتُك الآن! أَتعرِفُني أنتَ؟

قال صاحبُ البريدِ:

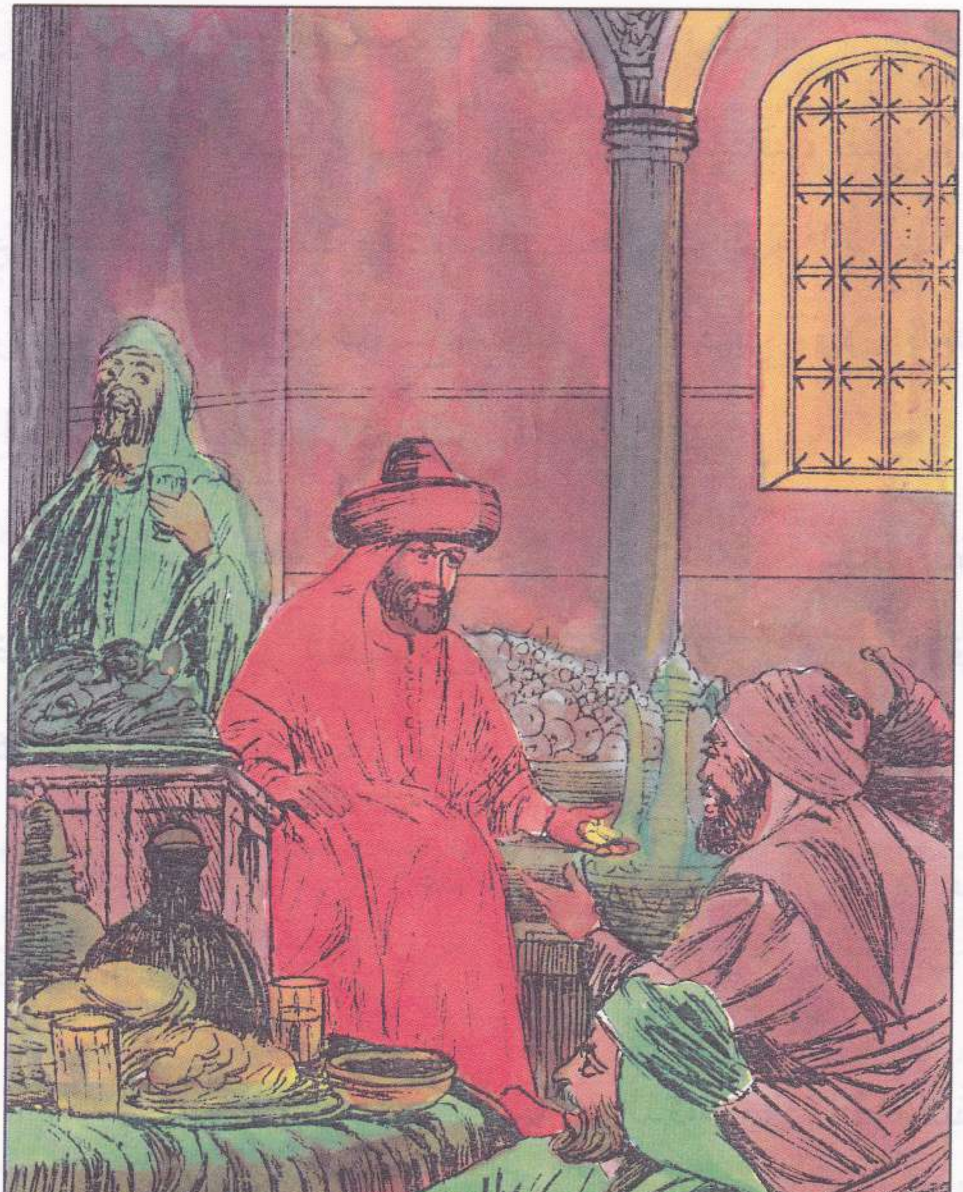
- نَعَمْ أنتَ التَاجرُ «فَالِحٌ» في السُوقِ الفلانيَّة...

ثمَّ أَخرجَ كتاباً دفَعَهُ إلى التَاجِرِ وقال له:

- هذا الكتابُ يَخُصُّكَ فإليكَ به. قد يحملُ لكَ ما يَسُرُّكَ.

قَرَأَ التَاجِرُ الرِسَالةَ وَوَقَفَ عَلَى مُحْتَوَياتِها، ثمَّ أطرَقَ مُفَكِّرًا وقَدْ رَاوَدَتْهُ أفكارٌ انفَرَجَتْ لها أَسَارِيرُهُ، فقالَ لصاحِبِ البَريدِ:

- وأنتَ قَرِيبٌ من بُستاني فَتَعَالَ مَعي حتَّى أَهَبَ لك دَنَانيرَ وأُغَيِّرَ مِن أَحوَالِكَ، وتُشَارِكَني ليلةَ أنسٍ أُحْيِيهَا، وصَدَفَ مُرُورُكَ عَرَضاً بي، فَتستَريحَ الليلةَ مَعِي في البُستانِ وتدخُلَ غداً بغدادَ.



قال صاحبُ البريد:

- على الرَحْبِ والسَعْة. أفعَلُ، وقد اشتاقَتْ نَفسي إلى الرَاحَةِ بعدَ هذا التعبِ وقَد أضنَاني الطَرِيقُ. ثُمَّ مَنْ مِنَ الناسِ يَرفُضُ ليلةَ أُنسٍ عُرِضَتْ عليه مِن كَرِيمٍ ولا **يُنعَتُ** بالمَجْنُون؟!.

وصَاحَبَ التاجرُ ضَيفَه حتَّى دَخَلا معاً البستانَ فأمَرَ خَدَمَهُ أن يُدخِلُوه الحَمَّامَ ويُلبِسُوه ثِياباً فَاخِرَةً ويُبَالِغُوا في إكرامِهِ.

فبادَرَ الخَدَمُ إلى الاعتناءِ بصَاحِبِ البريدِ وَغَيَّبُوه عَن حَضرةِ التَاجِرِ.

تقدَّم التاجرُ من غُلامٍ له شديدِ الذكاءِ والنَشَاطِ وكَلَّفَهُ باختلاسِ الكُتُبِ التي في حَوْزَةِ صَاحِبِ البريدِ، والتي تَخُصُّ التُجَّارَ؛ فَجَاءَهُ بها فَفَتَحَهَا التاجرُ وقَرَأ جميعَ ما فيها، وعَرَفَ أسرَارَ كافَّةِ التجَّارِ الذينَ يَتَعَامَلُون معه فَانشَرَحَ صَدرُه. وأعَادَ

الرَسَائلَ إلى مَكانها وَأطلقَ الغُلامَ من سَاعَتِهِ إلى بَغدَادَ وقَالَ لَهُ:

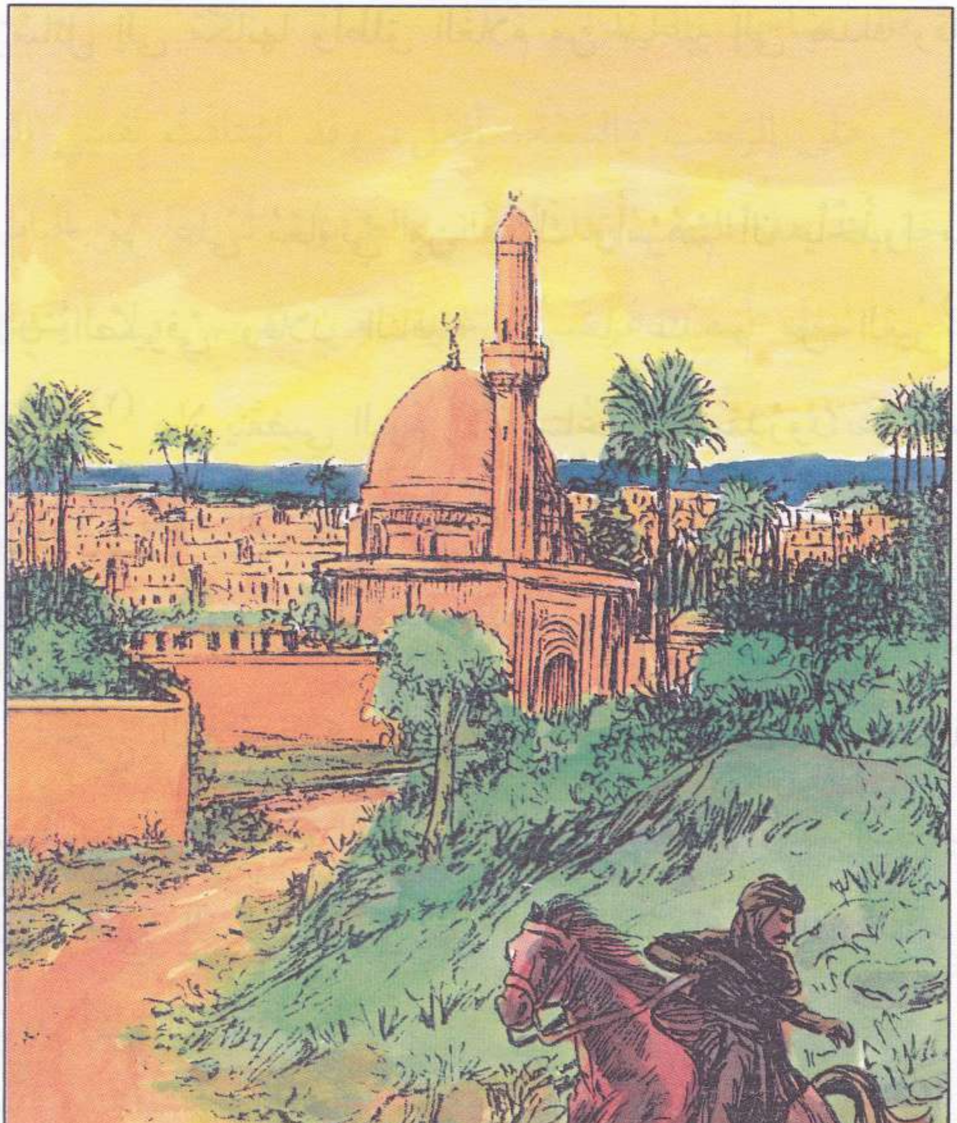
- مُرَّ على مُعَاوِنيَّ مِن فَوْرِكَ وَأْمُرْهُمْ أن يأخُذُوا من فلانِ الصَيرفيِّ وفلانِ الناقدِ، كلَّ ما عندَهم من العَين[1] والوَرِق[2] ولا ينقَضِي اليومُ إلاَّ ويَبتاعُون ما يَقدِرُونَ عَليه من الزيتِ، وتعودُ إليَّ عندَ **انقضاءِ النِهارِ** بالصُورةِ نفسِها. ولا تُعْلِمْ أحداً بذلك. كما شدَّدَ عَليهم على الحِرْصِ والكُتْمَانِ.

خَرَجَ الغُلامُ الذَكِيُّ إلى بَغدادَ، فيمَا قامَتْ في البُستانِ وَليمةٌ عَامِرة استَغْرَقَ الأنسُ والطربُ والطعامُ والشرابُ فيها حتَّى مطلِعِ الفجرِ، وَسُرَّ كُلُّ مَنْ حَضَرَهَا؛ وكانَ صَاحِبُ البَرِيدِ أكثرَ الجَميعِ حُبُوراً.

وَفي صباحِ اليومِ التالي جَلَسَ التاجرُ إلى صاحبِ البريدِ ونَقَدَهُ ما وَعَدَهُ بهِ مِن دَنَانِيرَ، وقالَ له:

---

(١) العَين: دنانير الذهب. (٢) الوَرِق: دراهم الفضة.



- يا رَجلُ، لقد كنتَ نَجْمَ أُنسِنا البارحةَ، فإن أنتَ أقَمْتَ عِندي دَفعتُ إليكَ ثَلاثينَ دِيناراً أُخرى، فَقَدْ أنِسْتُ بصُحْبَتِكَ، وقد أدخَلتَ السُرورَ إلى نَفسي بأَحَادِيثِكَ وطَرَائِفِكَ وما وَقَعَ معكَ مِن أَحداثٍ وما بلغ مَسَامِعَكَ من نَوَادِرَ، وأنا مُستَوْحِشٌ هُنا وَحدي أَنْشُدُ الراحَةَ!

قال صاحبُ البريد:

- أَفعلُ! ولسَوفَ أُشَنِّفُ أُذُنَيْكَ مِن كثرةِ ما سَأرويهِ لكَ مِمَّا تَشتهي من نَوادرَ وحَوادِث.

وراحَ التاجرُ يُسَايرُ صاحبَ البريدِ **ويُبَاسِطُه** ويُغْريه على المُكُوثِ تارةً بالسَمَاع إلى قِصَصِه وطَوراً بِمَا يَجُودُ عَليهم المُطرِبُون والجَوَاري، والتاجرُ يَسعَى جُهدَه أن يبقيَه عندَه حتَّى تنتهيَ مهمَّتُهُ التجارِّية.

وجاءَتْ في اليومِ التالي رُقْعَةُ معاونيه تُعْلِمُهُ بأَنَّهم قَد ابتاعُوا زَيتاً بعشرةِ آلافِ دينارٍ، وأنَّه قَد تحرَّكَ سِعرُه لِطَلَبِهِم إيَّاه.

فكتَبَ التاجرُ إليهم بأن يبتَاعُوا كلَّ ما يَقدِرُونَ عليه وإن كانَ قد زادَ سِعرُه، وأرسَلَ الرَدَّ مع الغُلامِ ولم يُمْهِلْه للرَاحَة.

وشَاغَلَ التَاجرُ صَاحبَ البريدِ يومَيْنِ آخرَيْنِ، ودَفَعَ إليه ما وَعَدَهُ بِهِ وَأَلَحَّ عَليه أن يمكُثَ يوماً أخيراً، ودفع له سَلَفاً المُتَرَتَّب. **فأذعنَ** صاحبُ البريد، وقد سَرَّته الوَلائمُ العَامِرةُ ومَجالسُ أُنسِها، فَضْلاً عَنِ الدنانيرِ التي يَربَحُها وهو لا يَدرِي لذلك سَبباً، غير أنَّ أُنسَ التاجرِ به قد **أَغدَقَ** عليه النِعَم.

وفي اليومِ الثالثِ ابتاعَ مُعَاوِنُو التَاجرِ بعشرينَ ألفِ دينارٍ أُخرى، وعادَ الغُلامُ إلى التاجرِ وقالَ له:

- لم يبقَ في السُوق شَيءٌ يَستحقُّ الاهتِمَامَ.

فصرَفَ التاجرُ صَاحِبَ البَرِيدِ، وأقامَ في البُستانِ أيَّاماً لا يُفكِّر بغيرِ البَسْطِ والانشراحِ وَاكتِسَابِ العافية.



ثم عَادَ إلى بَغدادَ مع مَطلعِ أُسبوعِ العملِ، وقَد قَرَأَ التجّار الكتبَ وعَرَفُوا خَبَرَ الزيتِ بالرقَّةِ، فَجَاؤُوا إلى التَاجرِ «فالح» يَهرعُونَ ويَتَزَايَدُون، فأَمسَكَ التاجرُ عَن البَيعِ فَبَذَلُوا زيادةً حتى بَلَغُوا المئةَ بالمئةِ فلم يَبعِ التاجرُ وقد عَزَمَ على طَلَبِ **الضِعفَين**.

وجَاؤوا بعدَ أيامٍ وبَذَلوا الضِعفَ ونِصْفَ الضِعْفِ فقال التاجرُ في نفسه:

- تَرْكُ هذا خَطَأٌ.

فباعَ التاجرُ جميعَ الزيتِ وربحَ رِبحاً وَفيراً. فَحَدَّثَ أهلَهُ وقال:

- رُبَّ ضَارَّةٍ نَفَعَتْ! فلم يَكُن يضيقُ صَدري لأنفرِدَ في البستانِ إلاّ لسببٍ أَحبَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أن يوصِلَ إليَّ الربحَ الوفيرَ رَخصاً.

وعندما عادَ الخليفةُ المعتضدُ مُنتصِراً على أعدائه فَرَضَ هَيبةَ الحُكمِ والأمن. وزاوَلَ الناسُ أعمَالهم وَقَدِ اعتَدَلَتِ الأسعارُ، وفاضَتِ الأسواقُ بالسِلَعِ والبضائعِ، وعادَتِ القافلةُ وأَفرغَتْ أحمَالَها في بَغدادَ، فرَخُصَتِ السِلَعُ والحَاجِيَاتُ وعاشَ الناسُ في أمنٍ وطُمَأْنِينَةٍ ورَغَدِ العيش.

قاموس الحكاية

رجاحة عقل: إتِّزان.

هَيْمَنَ: سيطر.

يبتزُّونهم: ينتزعون منهم الأموال بالتهديد.

الفلاة: الأرض العراء التي لا نَبْتَ فيها.

الغائلة: المصيبة المهلكة.

الكاسرة: المفترسة.

عزَّت البضائع: قلَّتْ وندرت.

استفحل الأمرُ: عَظُمَ.

المعضلة: المشكلة.

حاضرته: عاصمة مُلكه.

تُغني: تكفي، تحلّ محلَّ.

نوتيُّون: بحَّارة.

الارتطام: الاصطدام.

الإخلاد إلى الراحة: الركون إلى الراحة.

أرهقه: أتعبَه كثيراً.

أَذعَنَ: خَضَعَ.

تفرَّس: نظر بإمعان وتفحُّص.

دَفَعَهُ إلى: أعطاه.

البستان: تأتي هنا، في القصة، بمعنى البيت الجميل الذي يحيط به البستانُ والماء. وكان كبارُ القوم في القديم يتّخذون أمثاله للراحة والأنس.

يُنعَتُ: يُوصف.

انقضاء النهار: زوال النهار.

يُباسِطُه: يتمادى معه في الحديث.

أغدقَ: أكثر من العطايا والهبات.

الضِعفان: المِثلان.

أسئلة

١ - في فَهْم الحكاية

١ - من هو أحمدُ بن طولون، ومن هو خُمارَوَيْه؟

....

....

....

٢ - فَتِّش في معاجم الأعلام أو في كتب التاريخ، وانظر متى حَكَمَ المعتضد؟

....

....

٣ - ماذا حصل في بغداد أثناء انشغال الخليفة في حملته على أعدائه؟

....

....

....

....

٤ – مَنْ هو «الشاهبندر»؟

....

....

٥ – ما هو الرأي الذي استقرَّ عليه التجار في اجتماعهم؟

....

....

٦ – مَنْ هو صاحبُ البريد؟ وما كان دوره؟

....

....

٧ – ما هو الطريق الذي كانت تسلكه القافلة ذهاباً وإياباً؟

....

....

....

٨ – ما هو الطوف؟ ولِمَ يستعمل؟

....

....

....

٩ – لماذا قرّر «فالح» الإخلاد إلى الراحة؟

....

....

١٠ - ما هي الوسائل التي اتبعها «فالح» للحصول على الربح الوفير؟

....

....

....

....

....

٢ - في اللغة والتعبير

١ - أعطِ معاني المفردات التالية:

المهابة: .... يوصدون: ....

المداهمة: .... انتهك: ....

منهمك: .... يقمع: ....

العارمة: .... يَنشُدون: ....

القيِّم: .... المقايضة: ....

٢ - أعطِ الضدَّ لكلٍّ من المفردات التالية:

أفرغ: .... ضارَّة: ....

منتصر: .... الوفير: ....

أمهله: .... العافية: ....

ابتاع: .... أضناني: ....

٣ - أَلِّف جُملاً مفيدة يكون فيها:

- حَدَثَ أن: ....

- لن... إلا... : ....

- أمّا إذا... : ....

- ما.... حتى... : ....

٤ - استعمل فعل «انصرف» في جملتين، كلاً بمعنى:

انصرف: ....

انصرف: ....

٣ - في القواعد

١ - أكمل الجدول التالي:

الماضي	المضارع	الأمر	اسم الفاعل	اسم المفعول
علم				
				مأسور
			قائد	
		استعِدَّ		
	يزلزل			
استطاب				
				مُراد

٢ - صرِّف ما يلي: قال له: أَكْمِلْ عملك.

هما: .... هم: ....

هنّ: .... أنتَ: ....

أنتما: .... أنتنَّ: ....

أنتِ: .... أنا: ....

نحن: .... أنتم: ....

٣ - أعرب ما يلي: اقتطعَ أبوه مِصْرَ وجعلها ملكاً له وأورثَها ابنَهُ.

اقتطعَ ....

أبوه ....

مِصْرَ ....

وجعلها ....

ملكاً ....

له ....

وأورثَها ....

ابنَهُ ....

سلسلة حكايات السمر

تَغُوصُ في التَّاريخِ، تُحيي شَخصيَّاتِهِ، في سِيَاقٍ قَصَصِيٍّ مُمْتِعٍ رَاعَيْنا فيه قُدرَةَ الوَلَدِ على الاستِيعَابِ، لُغةً ومعلوماتٍ، لإيصاله إلى استِنتاج العِبَرِ التي يتحرَّكُ الأشخاصُ بوَحْيها. وقد رَبَطْنَا كلَّ قِصَّة بواقِع التحصيل المدرسيِّ فألْحَقْنَا بها قاموساً للمفرداتِ وأسئلةً متنوِّعةً تحرِّك الذهنَ، وتدفعُ الولدَ إلى التفتيش والتقصِّي.

تتضمَّن هذه السلسلةُ العناوينَ الآتية:

١ - شنُوحي المغامر
٢ - صَولجانُ فرعون
٣ - بَلاغةُ فلَّاح
٤ - التاجرُ الجاسوسُ
٥ - عنفوانُ المروءة
٦ - القائدُ المؤمنُ
٧ - الشقيقُ الماكرُ
٨ - اللِّصُّ والعجوزُ
٩ - عاقبةُ الظالم
١٠ - سلطانُ الصبر
١١ - طيشُ المترَفين
١٢ - اللِّصُّ الظريفُ دُكين
١٣ - الوفاءُ كنزُ الصداقة
١٤ - جاحِدُ النعمةِ
١٥ - العُودُ الهنديُّ
١٦ - جاسُوسُ الخليفة
١٧ - الأميرُ وابنُ النبيل
١٨ - العيَّار والمُغَفَّلون
١٩ - صُدْرَةُ الملوك
٢٠ - غرائبُ الصَّدَفِ